أنواع الهوية في روايات علي بدر وإشكاليتها

أ.د محمد نبي محمدي
(استاذ مشرف) استاذ مشارك في قسم اللغة العربية وادابها /كلية الاداب والعلوم الانسانية /جامعة رازي (كرمنشاه – إيران)

أ.د.جهانكير اميري (استاذ مساعد)
استاذ في قسم اللغة العربية وادابها /كلية الاداب والعلوم الانسانية /جامعة رازي (كرمنشاه – إيران)

أ.د.تورج زيني وند(استاذ مساعد)
استاذ في قسم اللغة العربية وادابها /كلية الاداب والعلوم الانسانية /جامعة رازي (كرمنشاه – إيران)

قبس حسن حميد حسين الكروي
طالب دكتوراة في قسم اللغة وآدابها، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة رازي (كرمنشاه – إيران)

البريد الإلكتروني Email : alkrwyqbs@gmail.com

الكلمات المفتاحية: علي بدر ، الهوية وإشكاليتها ، نظرية المنهج الاجتماعي، الهويات المغيبة والمزدوجة ، الهويات اللا أخلاقية.

كيفية اقتباس البحث

محمدي ، محمد نبي ، جهانكير اميري ، تورج زيني وند، قبس حسن حميد حسين الكروي، أنواع الهوية في روايات علي بدر وإشكاليتها، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، نيسان ٢٠٢٤،المجلد:١٤ ،العدد:٢ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

Types of identity in Ali Badr's novels and their problems

Prof. Dr. Muhammad Nabi Muhammadi
Supervisory(Professor Associate)
Professor in the Department of Arabic Language and Literature / College of Arts and Humanities / Razi University (Kermanshah – Iran)

Prof. Dr. Jahangir Amiri
(Assistant Professor)
Professor in the Department of Arabic Language and Literature/Faculty of Arts and Humanities / Razi University (Kermanshah – Iran)

Prof. Dr. Torg Zainivand
(Assistant Professor)
Professor in the Department of Arabic Language and Literature / Faculty of Arts and Humanities / Razi University (Kermanshah – Iran)

Qabas Hassan Hamid Hussein Al-Karawi
PhD student in the Department of Language and Literature, Faculty of Arts and Humanities, Razi University (Kermanshah – Iran)

Keywords : Ali Badr - Identity and its Problems - Social Method Theory Missing and double identities Immoral identities.

How To Cite This Article
Muhammadi, Muhammad Nabi, Jahangir Amiri , Torg Zainivand, Qabas Hassan Hamid Hussein Al-Karawi, Types of identity in Ali Badr's novels and their problems, Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, April 2024,Volume:14,Issue 2.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract :

The novel is one of the modern literary genres that most depicts human life and reality. It has attained a prominent position in literature as the most appropriate means of expressing social problems. This is by presenting a deep picture of reality, as it delves into the depths of societies, and monitors the happy and painful aspects of life. Anyone who follows Ali Badr's novels will notice that they address the issues of the reality of society and paint a clear picture of the suffering of the Iraqi individual. It can be said that the novel, with its texts, contributed to

highlighting the reality of the Iraqi individual. Identities in Ali Badr's novels suffered from exclusion, exclusion, and marginalization, especially after the occupation of Iraq by the Americans after 2003 and the subsequent sectarian and ethnic conflicts that led to the tearing apart of Iraqi unity.

The study was divided into: three sections, the first studied the authoritarian identity, the second section dealt with the heterosexual dual identity, while the third and final section studied the problems of identity and its cultural transformations.

The study of identity and its impact on society is one of the important modern critical studies in understanding social and political conditions. From this standpoint, I decided to study identity and its problem in the novel first, and in Iraqi society second.

الملخص:

تعدُّ الرواية من الأجناس الأدبية الحديثة، الأكثر تصويراً لحياة الإنسان وواقعه، فقد تسنمت مكانة مرموقة في الأدب باعتبارها الوسيلة الأنسب للتعبير عن المشكلات الاجتماعية؛ وذلك بتقديم صورة عميقة عن الواقع، فهي تغوص في أغوار المجتمعات، وترصد جوانب الحياة السعيدة والأليمة، فالمتتبع لروايات علي بدر يلحظ أنها تعالج قضايا واقع المجتمع وترسم صورة واضحة عن معاناة الفرد العراقي، ويمكن القول: إن الرواية بنصوصها أسهمت في إبراز واقع الفرد العراقي. عانت الهويات في روايات علي بدر من الإقصاء والاستبعاد والتهميش ولا سيما بعد احتلال العراق من قبل الأمريكان بعد ٢٠٠٣ وما تبعه من نزاعات طائفية وعرقية أدت إلى تمزيق وحدة الصف العراقي.

وقد توزعت الدراسة على : ثلاثة مباحث، جاء الأول دارساً الهوية المتسلطة، والمبحث الثاني عن الهوية المزدوجة المغايرة أما المبحث الثالث والأخير فدرست فيه إشكاليات الهوية وتحولاتها الثقافية.

إنَّ دراسة الهوية وأثرها في المجتمع من الدراسات النقدية الحديثة المهمة في فهم الأوضاع الاجتماعيّة والسياسيّة، ومن هذا المنطلق رأيت أن أدرس الهوية وإشكاليتها في الرواية أولا ، وفي المجتمع العراقي ثانيا.

توطئة:

تعتبر الهوية أداة تعريف للشخصية، وعلامة من علامات الإنتماء للوطن والمجتمع، فقد نالت الهوية موضع اهتمام الكتاب والباحثين، ولاسيما الروائي علي بدر الذي يعد من أهم الكتّاب،

الذين كتبوا في موضوع الهوية، فكانت الهوية ضمن اهتماماته، فراح يكشف مواضع تفاعلها داخل هرم المجتمع.

المبحث الأول

أولاً: الهُوية المتسلطة (المركزية)

تتبنى الهوية المتسلطة المركزية سلطة مستبدة منغلقة على ذاتها، سلطة ترفض الآخر، وتفرض هيمنتها عليه عبر وسائل التهميش والإقصاء ضد الجهات التي تحاول رفض هذه الهيمنة والسلطة المستبدة، فيذكرها الدكتور عبدالله ابراهيم فيقول "هي نوع من التمركز حول الذات بوصفها المرجعية الأساسية لتحديد أهمية كل شيء وإحالة الآخر إلى مكون هامشي، وهو الذي لا ينطوي على قيمة بذاته إلا إذا اندرج في سياق المنظور، الذي يتصل بتصورات الذات المتمركزة حول نفسها"(١)، فهي "تسعى إلى وضع هوية الآخر خلف ظهرها وليست أمامها، لتجعلها هوية منطوية وثابتة وغير ديناميكية، أي أنها غير خاضعة للتطور والتراكم، وهي بهذا تعمل على شطب الآخر وتعده قيمةً ملغيةً لا ذاتاً ولا هوية"(٢)، فهي سلطة قمعية حادة " لذا يتعذر الحفاظ على الهوية في ظل أساليب الكبد والقمع والطغيان والانعزال، الذي تمارسه هذه السلطة المهيمنة وطغيان أنويتها على الهويات الأخرى"(٣)،

لذ نجد روايات علي بدر مشحونة بالذات السلطوية المتسلطة تتميز بالتعالي والأنانية تجاه الآخر ، والتنكيل بكل من يخرج عن إرادة سلطتها.

ففي رواية الوليمة العارية حيث تظهر هذه السلطة متمثلةً **(بالباشا)**، إذ يعطي أوامره لرئيس الجندرمة باعتقال الفلاحين وضربهم وأخذ ممتلكاتهم، دون معرفة سبب ضربهم من قبله فيقول **السارد** "**وقد سار رضا أغا رئيس الجندرمة تحيد به جماعة من الخيالة على يمنيه، وجماعة من الخيالة على يساره، وهو يمسك بالسوط الأبتر بيده، بعد أن لف جزءً منه على مقدمة السرج، كان ينظر بعينيه الزرقاوين اللامعين إلى الفلاحين فيهربون أمامه.... وهنالك مجموعة من الفقراء أخذوا يبكون أمام الأصطبل، ونساء يولولن عن القن... ركض الجندرمة وراء الفلاحين فهرب الدجاج الذي كان يلقط الحبوب في الساحة الخضراء على دربكة بصاطير الجندرمة الثقيلة ... وقد كتف كل واحد من الجندرمة فلاحاً وجاء به أرضا أغا دون أن يعرف لماذا.. وحيت سأل الفلاح وهو يصرخ ويبكي شنو شسويت .. شنو شسويت.. حتى تأخذوني) يقول الجندرمة: (والله ماعرف... أنا عبد مأمور)**

(أنا عبد مأمور كلفني الباشا باعتقال عوني بك... وجلبه مكتوفاً ... لأنه يعمل بالقضية العربية" (٤)، ففي النص تظهر الهوية المتسلطة المركزية واستخدامها كافة الوسائل القمعية بحق الفلاحين دون معرفة سبب اعتقالهم وضربهم.

وفي الرواية ذاتها تظهر الهوية المتسلطة المركزية بـ(محمود بك) فهو ضابط بالجيش العثماني، متخذا من باب القشلة مكاناً للمراقبة والتلصص على المجتمع العراقي، فنراه يلقي القبض على عمه مستغلاً وظيفته وذاته المتسلطة المركزية تجاهه، فينقل لنا علي بدر الحوار الذي حصل بينه وبين عمه فيقول "**قال لعمه: عمي أنت مقبوض عليك بتهمة التهريب والمضاربات.. لا والله**

"**أني أنفذ الأوامر**"

"**بس أستر علي الله يستر عليك**

"**ما أقدر... ما أقدر..**

"**بس آني عمك**"

"**عمي...خالي... أنا عبد مأمور...أنا ضابط صغير كوجك سي في الجندرمة العثمانية**

"**أنت كوجك سي وتريد تعدم عمك.... لو كنت سلطان أيش كان سويت**"

"**حتى السلطان شنق عمه.. شنق إخوانه على مصلحته**"(٥)، يظهر بالنص هامشية الآخر والهوية المسلطة التي يمارسها الضابط العثماني تجاه عمه، بوصفه صاحب نفوذ متسلط مركزي يحق له التفرد وأذلال الآخر المتمثل بـ(عمه)

وفي رواية "الوليمة العارية" أيضاً حيث مارس الباشا عملية القتل الجماعي بحق أهالي المولة خانة، بسبب الإشتباك مع حامية جنوده، فأمر الجندرمة بوضع المدفعية تجاه هذه المحلة لتدك بيوتهم(المولى خانة) بذريعة حفظ الأمن فيقول السارد "**كان هنالك ثلاثة من حرس السراي يقفون عند المدافع، وضابط يقف على مبعدة منهم وبيده ورقة، يصرخ (الآن أرمي)**

"**دوم....دوم)**

مدفع يدك بيوت المولى خانه... وجندرمة على خيولهم يطاردون المشاغبين ويضعون في صدورهم الحراب، مدينة مشتعلة وجندرمة يخلعون الأقفال، ويكسرون الأبواب وينهبون، وقد شاركهم العام بذلك"(٦)، يظهر النسق المضمر في النص إذ يتخذ من تطبيق النظام بحق مخالفيه من هم اصحاب المناطق الثائرة إذ تم قصف منطقتهم تحت ذريعة حفظ الأمن فيها إن الأمر خلاف ذلك فهذه رسائل مبطنة للأهالي بعدم مطالبتهم لحقوقهم المشرعة لدى الدولة العثمانية.

أما في رواية (الطريق إلى تل المطران) فتظهر الهوية المتسلطة المركزية متمثلة بشخصية (القاشا) صاحب السلطة الدينية المتمركزة، فهو شخصية متخذ من السريالية منطلقاً لأفكاره، فيقول

السارد "**ما الذي يربطك بهم، بهؤلاء السوقة والنشالين والأغبياء؟ عليك أن تتحلى بفائدة الاشمئزاز المريع منهم، فهذا الاشمئزاز وحده الذي يخفف عليك لا أخلاقية الجمهور، أنهم نتانة حقيقية وما عليك إلا أن تكون وقحاً معهم وجافاً وقوياً وساخطاً ولا مبالياً**"(٧)، يظهر في النص شخصية القاشا الدينية السلطوية ونظرته الساخطة الفوقية تجاه الفقراء واحتقاره لهم، وفي نص آخر يصف المجتمع بالغوغاء، مهشماً بذلك المثقفين فيقول السارد على لسانه "**لم هناك نخبة إنما غوغاء، والمجتمعات كلها من الحثالة العامة...**"(٨) يظهر علي بدر من خلال نصه النسق المضمر لدى رجل الدين القاشا واستغلال هوية المتسلطة تجاه المثقفين، حيث عانت هذه الطبقة من عمليات الأقصاء والاستبعاد والتشرد، لأنها فئة تشكل خطراً عليه، "لذلك عاشوا في بلادهم منفيين أو مبعدين ومجردين من سلطة الوعي والقول والقلم"(٩)،

وفي رواية الجريمة، الفن، وقاموس بغداد ينقل لنا علي بدر عبر نصوصه الهوية المتسلطة المركزية المتمثلة بالدولة العباسية، إذا تضمر هذه السلطة المتسلطة الهيمنة والعداء لجماعة الخواجة، فنرى سياسة الخواجة التي طالت طائفة الخواجة، فنرى مشهد الاعدام أمام أنظار الناس، فيقول **السارد** "**هكذا أعد الجلادون مشهد القتل أمام الناس، أي المشهد العلني للتصليب، وقد طلب القاضي عبدالرحمن إحضار الجارية رضاب موثوقة لترى تصليب حبيبها بعينها، وقد أصر على ذلك على الرغم من معارضة صاحب الشرطة للأمر، وقد أذعن فيما بعد.... مشهد المأساة الأخير، الجارية وقد شقت عن صدرها حين رأت حبيبها وهو ينتظر لحظة التصليب، والحدس المؤلم الذي انتاب الخواجة حين علقت جاريته التي شغف بها من صدرها لتجلدها يد الجلاد عمر القاهر، جلاد سجون القاضي عبد الرحمن والوزير الظالم، وهو يأس في الدفاع عنها**" (١٠)، يظهر في النص قساوة الحكم وضغينة الهوية المتسلطة المركزية تجاه الخواجة، ففي النص تظهر الأدوات النسقية المضمرة تجاه الطائفة الخواجة، من إذلال واستخدام اقسى نواع التنكيل تجاه الخصم(الطائفة الخواجة).

وفي رواية (اساتذة الوهم) تظهر الهوية المتسلطة المركزية متغلغلة إلى أعماق المجتمع فيقول **السارد** "**كنا ضحايا، لم يكن أحد منا يفهم ما يرد، كنا نقول حداثة لكن حداثتنا كانت مترجمة... كان أكثرها ضحايا الهموم السياسية.... نحن ضحايا كلنا كنا نؤمن بالعنف، كلنا نريد تغير العالم وبصورة سريعة، كنا نتحدث عن الهدم والتخريب ولكن لم نكن نعرف البدائل**"(١١)، ينقل لنا علي بدر عبر نصه عن مدى تأثير السلطة المتسلطة المركزية(السلطة الحاكمة) على أفكارهم ونفوسهم، وكونهم أصبحوا ضحية الأنظمة السياسية من خلال الحروب التي خاضتها السلطة في ذلك الزمن.

وفي رواية أساتذة الوهم تظهر الهوية المتسلطة المركزية متمثلةً بالأنظمة السياسية الحاكمة، والتي تمارس تسلطها على أبناء المجتمع العراقي، بفترة الحرب العراقية الإيرانية فيقول السارد "**طالما التاريخ هو أداة السلطة، السلطة حين تريد أن تزيح أجساد هؤلاء الشباب الذين كانوا هناك، الشعراء الجنود الذين كانوا يقفون في الفراغ من التاريخ الذي كنا ننتظره، ما هذه القوة التي تتعلق بالمنشور، والتي تريد أن تتعالى على أجسادهم التي كانت موجودة ومحسوسة**"([١٢])، ينقل لنا علي بدر ظلامية الهوية المتسلطة المركزية وإظهار المسكوت عنه عبر نصه، وعبارة التاريخ هو أداة السلطة إي أن السلطة تتحكم بكل شيء وتكتب وتمحو ما تريد.

ثم يكشف لنا علي بدر مدى تلصص هذه الهوية المتسلطة المركزية على رقاب المجتمع العراقي، وذلك بتفعيلها للجهاز المخابراتي ومنظومة الأمن الداخلي، محاولة السيطرة على الآخر **من خلال ذلك، ويمكن عدها** "**الوسيلة الوحيدة لديمومة الدولة التي لا تستند على هوية وطنية متكملة وموحدة**"([١٣])، **فيقول السارد** "**السلطة هي المتلصص الأكبر، هي التي تراقب الناس دون أن تظهر لهم مباشرة... هي المتلصص الذي يعرف كل جالس في حمامات وتواليتات بغداد، السلطة تعرف كل شيء وتدرك كل شيء... وهي التي تمارس الحرب والإرهاب ليل نهار**"([١٤])، ينقل لنا السارد ظاهر التلصص إذ تحولت إلى وباء يفتك بالمجتمع، إذا تحولت جميع الأمكنة ومن ضمنها (الحمامات)إلى امتلاكها عيون وينقل ما يحدث فيها، كذلك أيضا ينقل لنا أعين السلطة المتسلطة على المجتمع فهم جميعاً تحت موضع أنظارهم فقول "**كان هنالك شعور عام عند الجميع بأن الدولة تراقبهم، وتتجسس عليهم، كانوا يعتقدون أن أعين البوليس الحادة تنظرهم من ثقب الأبواب، ومن زجاج السيارات...**"([١٥])، ينقل لنا علي بدر من خلال نصه أفعال السلطة الحاكمة وتلصصها وهيمنتها بحق المجتمع العراقي في تلك الحقبة.

ثانياً: الهوية المهمشة والهوية الهوية المغيبة

عانت العديد من الهوايات إلى عملياتِ تهميشٍ وإقصاء وتغييب، وأيضا توظيف وتفعيل عملية طمس الهوية تجاه هذه الطبقة، لذا "أصبح الهامش مصطلحاً يدل على الأغلبية ، الذين لا نجد لهم صوتاً واضحاً سواء في الإعلام أم في الثقافة النخبوية، بل ترى هنالك يتكلم باسمهم ويوظفهم اجتماعيا وسياسيا وغالباً ما يكون في المركز"([١٦])، ويعرف فوكو الهامش فيقول هي "تلك المساحة اللامتعينة كمحيط يمكن أن يتسع إلى ما لا نهاية، فالمتعين الوحيد هو المركز، ومن ثم يعد متعيناً بلا حدود، مقابل لا حدود المحيط حوله، الذي ليس له محيط فعلاً، إنما هامش، لأن كل ما ليس مركزياً، إنما هو طرف آخر هامشي وهامشي"([١٧]).

أما الهوية المغيبة: هي الهوية التي تتعرض للظلم والعنف والاستبداد والضياع من قبل الطبقة السياسية الحاكمة، أضافة إلى ذلك محو الذات من خلال التصفية والإبادة.

ونرى ومن خلال دراستنا وتتبعنا لروايات علي بدر وجدنا بأن هنالك تشاباً وتطابقاً كبيراً بين الهوية المهشمة والهوية المغيبة، ففي رواية الوليمة العارية تتمثل الهوية المهمشة بعامة المجتمع عامة والطبقة الفقيرة من الفلاحين خاصة إذ يتعرضون للضرب دون سبب فيقول السارد "**كان محمود بك على فرسه وقد تبعه عدد من الجندرمة الراجلة والخيالة يبحثون عن صفاء الدين الشامي، كانوا يسيرون وسط الضجيج وسط خوار الحمير وصهيل الخيل وثغاء الحملان... ومن بعيد رأى محمود بك عجوزاً أعرج من طاشقند كان يعمل في إسطبل بيت كمونة، رآه هناك يسقي الخيول بجردل أسود كبير... قال له محمود بك: (قول... وين صفاء الدين وإلا سأسوطك بهذا السوط)، وأخذ يلوح له بسوط تتر أبتر.**

بكى القرغيزي من خوفه وذعره، وأخذ شاربه الأبيض يرتجف... أخذ يبكي حاول أن يقبل حذاءه إلا أن محمود بك ركله بقدمه وأسقطه على الأرض ورفع سيفه بوجهه"(١٨)، فالتهميش في النص جاء بحق هوية الرجل العجوز، وتوجيه الضرب له من قبل محمود بك، وفي نص آخر من نصوص الرواية ذاتها تجسدت بالأرمن وهم من الهويات العرقية المستبعدة، وتعرض منازلهم للهجوم والكسر من قبل الجيش التركي، وأخذهم إلى جهاتٍ مجهولةٍ لا يعرف أين هي فيقول السارد "**هجم الدرك على المنازل بعنف كسروا الأبواب وحطموا الأثاث، واخرجوهم بقوة من منازلهم، ثم ساقوهم بصفوف طويلة في طرقٍ مجهولة**"(١٩) ينقل لنا السارد علي بدر صورة هوية الأرمن وقمعهم من قبل الدولة العثمانية في العراق، وإقصائها والسعي أيضا إلى طمس هويتها واستبعادها.

ففي الرواية ذاتها تظهر الهوية **المغيبة** متمثلة بأصحاب البشرة السوداء ومنها شخصية سالم الأسود الذي تعرض للقتل من قبل الضابط محمود بك فيقول السارد "**كان محمد بك يحمل سيفه إلى الأعلى ويتقدمهم، ومن بعيد رأى حامية السراي مشتبكة مع أهالي المولى خانة... كان سالم الأسود وربيع ابن بهية وعبود المكاري، واولاد ناظم زادة قد وصلوا إلى باب الحرم عند وصول محمود بك إلى بوابة السراي، فرفع سيفه إلى الأعلى وصاح بصوت عال(هاا) ضرب الأسود على رأسه أول الأمر وفلقه إلى نصفين**"(٢٠)، يظهر في النص تهميش وتغييب الطبقة االمتمثلة بـ(السود) وتحقيرهم وقتلهم وبوصفهم هويه وافدة على المجتمع العراقي وبأنهم هوية مستهجنة، فلفظة(سالم الاسود) دلالة تحقير وتصغير واستبعاد بحق هذه الفئة

وتظهر هوية مغيبة في الرواية ذاتها أخرى متمثلة بالجارية الجورجية جارية الباشا، حيث أمر برميها بنهر دجلة لمجرد مرضها فيقول السارد "قبل عشرة أعوام، طلب منه رؤوف باشا المملوكي أن يرمي أحدى محظياته في نهر دجلة، ولم يرفض أبداً، لقد رمى محمود بك معاني الجورجية في نهر دجلة من جسر الدوب"(٢١)، يكشف لنا النص سياسة القمع تجاه المرأة، لأنها تمثل هوية هامشية مغيبة ، ينتهي دورها بانتهاء المتعة الجنسية لها.

وفي رواية (الركض وراء الذئاب) تظهر الهوية الهامشية متمثلة بـميسون عبدالله إحدى النساء الثوريات، تجاه الطبقة الحاكمة المتسلطة(حزب البعث)، فيقول السارد "**ميسون عبدالله التي أحبها أحمد سعيد ورافقته في مسيرته النضالية، من الأوكار الحزبية إلى حرب العصابات، واشتهرت بمقاومتها الضارية للبعثيين، في ذلك الوقت، وكسجينة سياسية عانت من أكثر صنوف التعذيب شراسة ووحشية**"(٢٢)، يظهر النص هامشية المرأة المتمثلة بـ(ميسون) وظلامية الهوية المركزية تجاهها إذ تعرضت للتعذيب والإغتصاب بوصفها هوية هامشية، ولمطالبتها بحقوق المرأة من أبناء جنسها، الأمر الذي كلفها هتك جسدها.

وفي الرواية ذاتها تظهر أيضا شخصية (لا ليت) الهوية المهمشة، من قبل السلطة الحاكمة لمشاركتها في مظاهرات عدة فيقول السارد "**ألقي القبض على لا ليت ونقلت إلى معسكر اعتقال حيث قضت عاماً كاملاً هناك، أثناء اعتقالها أخضعت لعميات إعدام كاذبة وإلى غسل دماغ... ثم نقلت إلى سجن(كيرشلي) حيث قضت أربعة أعوام، كانت تجبر على التجوال وهي عارية وتعرضت أكثر من مرة للاغتصاب**"(٢٣)، يظهر النص هامشية المرأة وتعرضها للاغتصاب إذ أجبرت على التجوال وهي عارية، فهذا الاغتصاب يمثل "**أحد أهم الأنساق الثقافية التي تكشف عن همجية السلطة في العراق، وهو نسق مهيمن في الثقافة الذكورية على نحو عام ويأتي الاغتصاب لإذلال المعارضين**"(٢٤)

وتظهر في الرواية ذاتها هوية مغيبة مهمشة متمثلةُ بـ(حمال وحيد) شخصية ذات نفس شيوعية، إذا القي بالسجن بعد وصول (صدام حسين) للحكم فسج به بالسجن، فتعرض لأبشع أنواع التعذيب فيقول السارد "**سألته عن حياته في العراق وكيفية هروبه، فحدثني بقصة عجيبة لا تخلو من الترويع والإثارة، حدثني عن سجنه، وكيف قاسى في السجن أنواع وصنوف التعذيب.... أخذ يتكلم بهذيان تقريباً عن الخيانات وعن القتلة والمجرمين وعن هؤلاء الذين عذبوه ودمروا حياته.... أنه وشي بأصدقائه فأطلقوا سراحه، ومن جراء هذا الفعل هو يعاني من هذه الأزمة النفسية الكبيرة، كل هذه الشتائم والآلام والعذابات التي لا تنتهي بسبب هذه الوشاية التي أجبر عليها، أي انه اعترف في التعذيب على اصدقائه، قال لي انه لم يكن**

يتحمل الكهرباء، لم يكن يتحمل أن يضرب بقوة على أعضائه التناسلية وانخرط ببكاء حار.... حين أطلقوا سراحه، شعر أن السلطة لن تصبر عليه طويلاً وستطيح برأسه لا محالة، قرر الهرب.... ثم وصل إلى الاتحاد السوفيتي، بعد ذلك هرب من الشيوعين من الاتحاد السوفيتي وجاء إلى أثيوبيا"([٢٥])، ينقل لنا علي بدر الهوية المغيبة المهمشة وتعرضه للتعذيب والتنكيل لإجباره على الاعتراف على الآخر، مما دفع بالشيوعيين أنفسهم لملاحقته.

وتطرح أيضا الهوية المغيبة في رواية (حارس التبغ) متمثلةً بكمال مدحت الموسيقار العراقي الذي اختطف وقتل عام ٢٠٠٦، فالظروف السياسية ببغداد أجبرته على انتحال شخصية أخرى فيقول السارد "**في الخامس من فبراير من العام ٢٠٠٦ وجدت جثة الموسيقار العراقي كمال مدحت مرمية على مقربةٍ من جسر الجمهورية على نهر دجلة، من جهة الرصافة.. كان قد عثر على الجثة بعد أقل من شهر تقريباً على اختطافه على يد جماعة مسلحة من محل قريب من منزله في مدينة المنصور**"([٢٦])، يظهر في النص الهوية المغيبة للموسيقار العراقي كمال مدحت، وشعوره بالمنفى وهو داخل وطنه، إذا لا يستطيع ممارسة حريته لذا نراه يتخفى عبر هويات مستعارة تؤدي به إلى ضياعه وقتله، حيث وجدت جثته مرمية على نهر دجلة في بغداد.

وفي الرواية ذاتها تظهر الهوية المهمشة متمثلةً بالمراسل الصحفي فيقول السارد "**بقيت أعمل سراً مع هذه الصحفية، ومع بعض الصحف الأجنبية الأخرى، حتى تعرفت على فرانسواز لوني، وهي صحفية فرنسية، كانت تعمل أيضاً مخرجة أفلام تسجيلية.... تعرفت عليها في بغداد أيام الحصار... بعد أن اتخذت لنفسي أسماً مستعاراً أيضا، بناءً على رغبتها**"([٢٧])، ينقل لنا الهوية المهمشة المتمثلة بالصحفي العراقي، فاتخذ هوية مستعارة دلالة على بطش الدولة والخوف منها.

أم في رواية (ملوك الصحراء) تظهر الهوية المهمشة متمثلةً ببدو الصحراء، إذ تتخذ الدولة اجراءات تعسفية ضدهم ومحاولة إقصائهم، دون اللجوء إلى لغة الحوار، فيقول السارد "**كان سمعان أشبه بصبي صغير عصبي المزاج، وكان في بعض الأحيان يقوم بلعب دور الشخص الناضج، فيسير أمامنا وهو يشد على خصره بضع رمانات، وكان الجميع يعرف أنه أشهر رامي رمانات في الفصيل.... هكذا كان يسمي الرمانات:(لعباتي الصغيرات)، وحين يقول لعباتي الصغيرات يعني أنها تسليات الموت، فكرة فنطازية عن الموت القادم، وهذا الموت هو موت هو موت الآخرين وليس موتنا**"([٢٨])، يظهر النص الاستهزاء والتمكن من الآخر المتمثل بلبدو عبر عبارات كان يطلقها سمعان كلعباتي الصغيرات وتسليات الموت، فالموت المجاني يلاحقهم بكل مكان عبر سيطرتهم المركزية المتسلطة.

أما في رواية (أساتذة الوهم) فتتمثل الهوية المغيبة بنخبة من الشباب العراقيين الشعراء والأدباء والمثقفين، الذين يساقون إلى الحرب إلا واحداً منهم يروي ما حدث لهم فمنهم من هرب ، وقتل، وأعدم، إلا واحداً منهم الشاعر عيسى حيث تمكن من الهرب من الجيش أثناء الحرب العراقية الإيرانية فيقول السارد "**الغريب في الأمر أن حكم الإعدام قد صدر ضدهم وتم إعدامهم بتهمة الهروب من الجيش أثناء الحرب إلا عيسى الذي تمكن من الهرب قبل القبض عليه، وبقي ثلاثة أشهر طليقاً، وأخذ يتخفى بصور وطرق مختلفة، ولكنه سلم نفسه فيما بعد، أثناء العفو العام عن الفرارية أو الهاربين من الجيش، والذي صدر في ديسمبر من العام ١٩٨٧، ألا إنه اتهم بتأسيس تجمع سياسي محظور، وحكم عليه بالإعدام وتم إعدامه بعد أسبوع واحد فقط من تاريخ القبض عليه**"([٢٩])، يظهر النص حيل السلطة وخداعهم للقبض على الهاربين وتنفيذ حكم الإعدام بحقهم.

المبحث الثاني

الهوية المزدوجة والهوية المغايرة المتحولة

أولاً: الهوية المزدوجة:

تعتبر الهوية المزدوجة إشكالية من إشكاليات المجتمع الإنساني إذ لا تكاد تخلو أي ثقافة عربية منها، فتتمثل بحصول الشخص على هويتين في آن واحد فقد يكون ذلك بشكل امتلاكي عن طريق حصول الفرد على هوية عربية أو غربية، أو بشكل معنوي عن طريق شعور الفرد بإزدواجيته للهوية سواء عربية أو غربية، ويمكن عد سبب "استفحال ازدواجية الشخصية في العراق إلى ما اتصف به أهل العراق من ميل للجدل والولع به"([٣٠]).

وتمثل الإزدواجية "ظاهرة إجتماعية موجودة في كثير من المجتمعات البشرية، وهي قد تكون ضعيفة أو قوية تبعاً لتفاوت الظروف في كل مجتمع، وسببها وقوع المجتمع تحت تأثير نظامين متناقضين من القيم فيضطر بعض الأفراد من جراء ذلك إلى الاندفاع وراء أحد النظامين تارة، ووراء الأخر تارة أخرى، فهم يناقضون أنفسهم دون اكتراث ظاهر"([٣١])، وبالتالي فأن الكلام "عن الهوية المزدوجة لا يعني تزاوج ميكانيكي كمي بسيط لبعدين نفسيين لهوية الشخص المعني، بل العلاقة جدلية متحركة ومتداخلة في إطار الإنتاج الدائم والمستمر لهذه الهوية الفردية من جهة والهوية الوطنية العامة من جهة أخرى، انطلاقاً من الظروف التاريخية المحددة ومن الصراع الثقافي"([٣٢])،

ففي رواية (الوليمة العارية) تظهر الهوية المزدوجة متمثلةً بـ(شخصية) منيب أفندي العراقي المتأورب الحالم القادم من محلة حيدر خانة ببغداد، كان ما يميز منيب أفندي عن

الآخرين أنه من دون شوارب، وكان أيضا متأوراً من خلال مظهره وسلوكه، كما كان يردد عبارة "**لا حياة إلا مع أوربا**"(٣٣)، وكان يحلم بزوال الشرق ويحل مكانه الغرب "**الجامعات محل الجوامع، المتاجر الكبيرة محل السلخانة والمصارين والدم الرائب، الترامواي محل الحمير والبغال، والطبيب محل المجبراتي**"(٣٤)، ونراه أيضا متأثراً بالأفكار الغربية، وينتظر اللحظة التي تدخل القوات الإنكليزية إلى بغداد لتتحول للطراز الأوربي "**مثل لوندرة وباريز، تنفتح أزقتها على نفسها، وتتوسع الدرابين والعقود والمحلات، وتتشيد المايخانات والمنزولات والملاهي والتياتروات، وتتعهر المرأة المسلمة وتلبس التوكات والبرينطات مثل الأوربيات**"(٣٥)، أخذت الهوية المزدوجة في النص منحيين خارجي المتمثل بالتأثر بالثقافات الأوربية والرغبة بالانفتاح على الآخر الأوربي، والثاني النسق المضمر محاولة تغيير العادات والتقاليد، ومحاولة تعهر المرأة.

وهذا ما تنتجه الهوية المزدوجة من صراعات داخل المجتمع، بين التقليد والحداثة فمنهم من يريد الابقاء على الوضع القائم ومنهم من يريد زج المجتمع بأحضان الحداثة الأوبية وهذا ما حدث بين منيب أفندي وشيخ أمين فيقول السارد "**كان الشيخ أمين يحلم بالإسلام الذي يقلق حده المتوسط.... يحلم بسحر العصور الآسر، حين كان التتار بسروجهم الصغيرة ورؤوسهم الحليقة يعبرون إلى الآخر من البحر، بينما كان منيب أفندي يرحل في التراموي إلى أزمير وهو يحلم بالخلاص على يد الغرب.... بالموضة وهي تدخل أرض الإسلام**"(٣٦).

وتطرح رواية (صخب ونساء كاتب مغمور) الهوية المزدوجة المتمثلة بـ(وليد) العراقي اللبناني، الذي قدم إلى العراق بسبب الحرب اللبنانية، ودعي أنه ابن الشاعر اللبناني سعيد عقل، وبهذا الفعل يحصل على مكانة على حساب الآخرين، فيقول السارد "**صورة وليد وهي صورة الخارج تواً من القصص الغرائبية الفنطازية، فهو دجال ومخادع صاخب جاء إلى العراق كما يقول بسبب الحرب اللبنانية، غير أن وسامته ومظهره الارستقراطي وصلعته الفينيقية تشفع له على الدوام، بل وتغري بشكل مطلق لتصديقه والتوطؤ معه، أدعى عند قدومه إلى بغداد بأنه وليد عقل ابن الشاعر اللبناني سيعد عقل، وقد كان يكتب قصائد سريالية لا علاقة لها بقصائد والده، ويستلم رسائل من المعجبين بسعيد عقل ببغداد... كان وليد يعيش تبطله اللا محدود على حسابهم: مطاعم فاخرة، اوتيلات، ديسكوات، بارات... لقد جعلهم هذا اللص الودود يعيشون أوهاماً لا حدود لها**"(٣٧)، ينقل لنا علي بدر ومن خلال نصه هذا ويكشف المستور عن شخصية وليد المزدوجة الساخرة فهو يعتاش على الآخرين من خلال ما يدعي بشاعريته.

وفي رواية (مصابيح أورشليم) تظهر أيضا الهوية المزدوجة متمثلةً بشخصية علاء خليل، إذ كان مولعاً بالثقافة الأوربية ويتضح ذلك من خلال قرأته للروايات الإنكليزية، والتحدث بلغتها، ومعرفته بالأماكن دون زيارتها، فهو متأوب مع الآخر، لعدم شعوره بهويته العراقية فيقول الراوي "**لقد كان علاء خليل متغرباً بالكامل، وهو نوع رد فعل هذا الجيل ربما على الثقافة الوطنية والقومية التي كانت تلقن بصورة عنيفة مبتذلة أيضاً، كان يعتبر كل هذه الأحداث سيرة طبيعية ومتواصلة من تاريخ المنطقة : الحروب العبثية، الشناعات السياسية، القتل المجاني، التصفية الجسدية، التخلف، الجهل، التعصب الديني،**"([٣٨])، فالهوية المزدوجة التي كانت تصاحب شخصية علاء خليل علّ سبب ذلك دخوله للتجنيد الإلزامي، ومشاركته للحرب التي كانت قائمة آنذاك.

وطرحت أيضا رواية أساتذة الوهم الهوية المزدوجة المتمثلة بشخصية (عيسى) العراقي المتأورب فهو يعيش حالة انشطار بين الواقع والخيال، وهو أيضا متشبث بالعالم الغربي الخيالي، علَّ سبب ذلك يرجع إلى سياسة البلد وغياب الحرية بأشكالها، لذلك نراه يتقمص شخصية الآخر فيقول السارد "**وسط هذا الحشد من الناس كان عيسى يخترع لنفسه حياة أخرى، حياة تتناسب مع موهبته، كان يريد أن يصنع له حياة جديدة بموازاة حياة الشعراء الذين قرأهم... فهو يجلس بالبار يشرب البيرة المثلجة، ويدخن سجائر محلية ويرتدي ملابس من البالات، لكي يشبه صورة الشعراء الذين سيقرأ سيرهم، ويرتدي، على الدوام معطفاً أسود، وقبعة، ولفاعاً رمادياً،... يجلس بنظارته السميكة وهو يضع كتب جار المأمون أمامه وهي دار اختصت بترجمة الأدب العالمي ف بغداد في الثمانينات، مثل دواوين هنري ميشو وجاك بريفر وأنا اخماتوف وغيرهم**"([٣٩])، فهو يعيش حالة عدم انسجام وانسلاخ من واقعه المحلي، ومتشبث بالآخر الأوربي فكراً وثقافةً.

ثانياً: الهوية المغايرة (الدينية– الأخلاقية):

عانت الشخصيات الروائية في روايات علي بدر بظروف متعددة، دفعت بها إلى ترك هويتها(الأم) والبحث عن هوية أخرى مغايرة، لذلك نجد الهوية التي تتعرض "لتحولات قيمة كبرى، تدفع بها إلى لاكتساب هويات جديدة والتخلص من القديمة، ويستعير الأفراد أقنعة يتنكرون بها من أجل تخطي الصعاب التي يواجهونها"([٤٠])، فالتحولات الدينية والأخلاقية التي عصفت بالشخصية، علل أهم أسبابها الحروب والعوز المادي، وهذا ما نجده عند النساء الريفيات في رواية صخب ونساء كاتب مغمور وتحولهنَ من فلاحات فقيرات إلى عاهرات في الملاهي ينافسن الراقصة سعاد التركمانية، إذ دفع بها العوز المادي إلى مضاجعة الزبالين والكناسين أيام الراتب،

فيقول السارد "أما المنافسة فكانت شديدة، لا من المستوردات فحسب، إنما من المحليات، ومن الريفيات، وقد كان للوضع الاقتصادي المتدهور في الريف أكبر الأثر في اندفاع عدد كبير من الفلاحات الشروقيات، خاصة الجميلات اللاواتي يتمتعن بمواهب جسدية قادرة على كسب بعض الزوار"(٤١)، لذا فالعوز المادي دفع بالشروقيات الفلاحات وسعاد التركمانية إلى الدخول في هذا المجال ونرى دخول ميسون على هذا الخط بطلة رواية الركض وراء الذئاب، حيث تحولت من بطلة ثورية تطالب بحرية المرأة إلى شخصية أخرى مغايرة تمارس الدعارة في الملاهي فيقول السارد "**تحولت ميسون عبدالله إلى ظاهرة حقيقية في الإعلام اليساري ذلك الوقت.... في المقابلة التي أجراها معها جبر سالم هنالك جرأة حقيقية ولا سيما في حديثها عن اغتصابها في السجن ، وقد سردت تفاصيل هذا الاغتصاب من كونه برنامجاً سياسياً محدداً، للبعثيين بالضد من الشيوعيين، وهو عرض فج ومباشر لاستخدام السلطة، يعين الحاكم وينظم قوانين لعبته السياسية حيث تسمح له بممارسة سلطته دون أي قيد، وبعد هروبها من السجن تسللت إلى دمشق ثم وصلت بيروت ، وبعد ذلك لجأ إلى الدعارة لأغراض مادية، محاولة إصلاح ضرر الاغتصاب السياسي... فجسدها ملكها ويمكنها تأجيره مرات ومرات وتقايضه بثمن دون أن تخسره تماما**"(٤٢)، يظهر النص الهوية المغايرة والتحول اللا أخلاقي متمثل بشخصية بـ(ميسون)، ويرجع سبب ذلك إلى الفقر والعوز المادي.

وتطرح الرواية ذاتها الهوية المغايرة المتحولة المتمثلة بمجموعة من الثوار الشيوعيين الهاربين من بغداد أواخر السبعينيات، للالتحاق بالجيش الأثيوبي، إذ تحولوا من ثوار يطالبون بالتحرر والتغيير إلى رواد ملاهي يمارسون الجنس مع ثوار افارقة فيقول السارد "**لم يكن الثوار هنالك هم نفس الثوار الذين حلمت أن أكون واحداً منهم، تعرف لماذا؟ لأنهم هم أنفسهم الذين كانوا معي في مقهى العقدين، ومعهم ياسين هم أنفسهم الذين كانوا يأكلون الكبة في مطعم نزار، وهم نفسهم الذين كنت أسكر معهم في بار شريف وحداد كل ليلةٍ وأشرب معهم نخب جيفارا وتروتسكي وماركس.... وأخذوا المواقع الأولى بوصفهم الثوار... لقد اكتشفت إني جئت إلى حفنة من اللصوص والقوادين والنشالين والعاهرات، وجدت نتانة وقاذورات، وجدت أحمد سعيد كان يسمي نفسه في ذلك الوقت جيفارا العراقي، وجواد الوسخ، تعرفه هذا الحارس في عمارة انتوتو كان يسمي نفسه (هوشي منه) البصري، وهذه ميسون التي كانت تريد أن تكون مثل جميلة بوحيرد وصارت عاهرة رخيصة في فنادق الدرجة الثالثة، لقد اكتشفت ولو بعد فوات الأوان أن الثورة هربت الثورة ماتت بعد أن شمت رائحة تعفن هؤلاء الفاسدين والفاشلين**

والكذابين"([٤٣])، ينقل لنا علي بدر عبر نصه الوضع اللا أخلاقي الذي تمارسه مجموعة متمثلة بالثوار فكان تحقيق أهدافهم عبر التسكع وشرب الخمر وممارسة الرذيلة في الملاهي.

وفي الرواية ذاتها تبرز الهوية المغايرة المتحولة متمثلةً بـ(شخصية عزيز الحاج)، إذ قاد حرب العصابات في أهوار الجنوب وتحوله من قائد إلى واشي يوشي بزملائه عبر شاشة التلفاز، فيقول السارد "**بدلاً من القتال في أهوار الناصرية وإسقاط طائرة هليكوبتر حكومية ليتجول رئيسهم بعد شهر من القتال إلى عميل يوشي برفاقه بالتلفزيون.... لا أعرف كيف نجوت من هؤلاء القوادين والعاهرات والقذرات الذين كادوا أن يفتكوا بي في أديس بابا**"([٤٤])، يكشف النص المضمر المتمثل بزيف الثورة والظلم الذي لحق بهؤلاء، وذهاب طموحاتهم عبر الوشاية.

أما في رواية حارس التبغ تظهر شخصية نوسا تمارس الجنس والعهر، فبعد تعرضها للإغتصاب وهي في سن المراهقة، تحولت إلى فتاة سيئة الأخلاق، لذلك اصبحت تتردد على دكان شخص كبير السن تتضاجع معه مقابل اعطائها كل شيء، وبسبب فقر عائلتها أجبرت على الزواج من قبل شخص يمارس اعمال التهرب والسرقة والعمل في اعمال غير مشروعة إذ أجبرها على العمل معه فدخلت السجن وتعرفت على أم طوني سيئة الصيت عملت معها واخذت تصطاد الرجال في الفنادق والملاهي، فيقول السارد "**صعد أول باص في الساحة وعاد إلى منزله، وما أن دخل المنزل حتى شاهد أم طوني بجسدها البدين تبتسم له، سلم عليها، قالت له هنالك من ينتظرك في الحجرة، وحين فتح الباب وجد نوسا منطرحة على السرير، كانت رؤيته لها مختلفة عن المرة الأولى التي رآها فيها وهي سكرانة في الملهى، سألها عن سبب مجيئها فلم تجبه، فكر في البداية أنها جزء من مؤامرة ضده، ولكنه سرعان ما أزاح هذه الفكرة عن رأسه، كما أنه شعر بانه هو أيضاً منجذباً لها....في الواقع بقيت نوسا على فراشه حتى المساء، واثناء هذا الوقت تحدثت له عن نفسها قالت له أنها متزوجة من عماد قبل ثلاثة أعوام ولديها طفلاً نادراً ما تراه فقد امضت خمسة أعوام في السجن لترويجها عملة مزيفة ولممارسة الدعارة كانت تجربتها الجنسية في عمر الخامسة عشر مع شخص أحبته، وبعد أن نام معها هرب منها، بعد ذلك أصبحت تترد على دكان شخص كبير السن وكان يقدم لها كل شيء مجانا نقابل ان يضاجعها.... وكانت عائلتها الكبيرة والفقيرة هي التي اجبرتها على الزواج من عماد حين خطبها لم يكن شوفيراً، إنما كان يعمل كل شيء، تهريب، سرقة، ترويج عملة مزيفة وأشياء أخرى، وبعد زواجه بشهرين جاءها مساءً وأخبرها أنه لم يعد قادراً على دفع أجرة البيت وتحمل مصاريف الطفل، وقال لها وجدت لك عملاً مناسباً، أخبرها أن ضيوفاً مهمين سيقومون بزيارتهم خلال الأيام المقبلة، وعليها ان تشوف طلباتهم، وهكذا بدأت في**

الصباح تعمل مروجة عملة مزيفة وفي المساء عاهرة... "(٤٥)، ينقل لنا علي بدر الشخصية المغايرة المتحولة المتمثلة بالفتاة صغيرة السن ودخولها عالم الجنس والعارة بسبب اغتصابها بفترة مراهقتها وسوء الأوضاع الإقتصادية ، علاوة على ذلك زواجها من شخص سيء بسبب فقر اهلها، فالنسق المضمر يظهر بالسلطة المركزية وتهمشيها لها وللمجتمع.

أما في رواية (أساتذة الوهم) تحول مجموعة من الشخصيات هويات مغايرة متحولة مزورة بسبب الحروب الإيرانية واختفائهم بمنزل أم(جوني)، حيث أخذ الرجال الهاربين من الخدمة الإلزامية، والمطلوبين سياسياً، ومن بينهم الموظف وتحوله إلى مدمن خمر، وسيد هادي المعمم القادم من الكوت وتحوله إلى شخص سيء الأخلاق ومدمن للخمر، فيقول السارد "**حسن عدت إلى الكرسي لأجلس أمامه سالته عن قاطني العمارة أي عن جيرانه في السكن فقال: لي بشكل غير مكترث:**

كثيرون لا يمرون شهر دون أن يغادر واحد أو إثنان ويأتي محلهما جدد

ولكنه أشار إلى أن هنالك نزلاء أبديين، منهم رشيد، وهو مدمن خمرة ولاعب قمار، كان موظفاً كبيراً في التأمين قبل أن يهرب من عائلته ويسكن في البتاوين... أما سيد هادي المعمم فهو قادم من الكوت لدراسة الشريعة، بع أن باعت أمه بقرتين لتتكفل بذهابه إلى بغداد، لدراسة لشريعة، ولكن عيسى لا يعتقد أن السيد هادي يعير أي اهتمام إلى الدين بمعناه التعبدي، لأنه في المساء يسكر مع رشيد، ويذهب إلى بيت الدعارة... وحيدة التي تقطن في بغداد فقد عرف عيسى فيما بعد أنها تعمل خياطة، ولديها ماكنة صنجر تفصل وتخيط فيها بعض الثياب، ولكنها في الليل تعمل في منزل دعارة، ومرقس الذي ترك الدراسة بعد وفاة والده وأخذ يعمل في محل بيع الخمور، والآن وضعه مهدد إذ عليه أن يلتحق بالخدمة العسكرية"(٤٦)، وعلَّ سبب لجوء هذه الشخصيات للهوية المغايرة لأسباب منها مادية نفعية، واللجوء إلى الخمر هو للهروب من الواقع المأزوم، وكذلك تأزم الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية.

ثالثاً: الهوية اللا منتمية:

في ظل الظروف التي عاشها الشعب العراقي، والتزمت في استخدام السلطة وغياب الحرية والتعبير، والحروب التي خاضها المجتمع العراقي شكل هالة كبيرة للمجتمع أدى ذلك إلى أماتَ الشعور بالمواطنة والإنتماء لدى المجتمع العراقي، فتغيرت مبادئ المواطنة، فتبلور نتيجة ذلك إنتماءات عديدة كالقبيلة والعشيرة والطائفة، وكأن العراقيون "يعيشون في واحات شبه منعزلة من الهوايات المتفرقة ضيقة الأفق، درج السياسيون الجدد الذين أقروا بوجوده على وصفة بالفسيفساء العراقي، ودرج علماء الاجتماع على وصف حالته بأزمة الهوية"(٤٧)، فأزمة الهوية يصفها أحد

الباحثين فيقول إنها "نقطة دوران ضرورية ولحظة حاسمة تحدد ما إذ كان ينبغي أن يتحرك النمو في مسار واحد أو أكثر وتساعد الفرد على تنظيم موارده وإعادة اكتشاف الهوية"(٤٨)، فالصرعات والحروب التي شهدتها المجتمع جعلته يبحث عن هوية أخرى منفردة، ويصفها أبو بكر مرسي فيقول بأنها "فشل الفرد في تحديد هويته لأناه، مع الشعور بالاغتراب وعدم الجدوى وانعدام الهدف مع عدم القدرة على التخطيط لأهداف مستقبلية والافتقار إلى العلاقات الاجتماعية"(٤٩)، أما الغذامي فيقول أن الهوية "ولدت من رحم أزمة الإنتماء لتردم الفجوة بين إحساس المرء بما هو جدير به وبين ما هو عليه، ولك ترتقي بواقع الإنسان إلى مستويات ما توحي به مقولة الهوية، أي لتعيد صياغة الواقع ليقترب في شبه مع موحيات الفكرة"(٥٠).

يقدم لنا علي بدر عبر نصوصه نموذج من الهويات رافضة للهوية الوطنية الأم، ففي رواية صخب نساء كاتب مغمور فالهوية الرافضة متمثلةً شخيصة مالك الأستوديو رفضه للإنتماء ورغبته بالسفر مع صاحبه، فيقول السارد على لسان الشخصية "**لقد ضجرت من بغداد من حصارها الشنيع، وفقرها المدقع، وحرارة صيفها المدمرة.... أما السياسية فلا أريد التحدث عنها، أريد طنجة أو أي شعب جديد... بعيداً عن العراق، بعيداً عن هذا البلد المحاصر والمغلق**..."(٥١)، ينقل لنا علي بدر الهوية الغير منتمية الرافضة تعاني انشطاراً داخلياً، والرغبة الكبيرة في السفر وترك الوطن الأصلي، والبحث عن وطن آخر مجازاً، ويقول علي بدر في نص آخر "**كنا الثلاثة ذلك المساء نتناول عشاءنا بصخب في مطعم فولكلوري صغير في الطابق الثالث من فندق ميليا المنصور في بغداد، المهاجر العراقي الذي يقطن في لندن منذ عشرة أعوام، وصديقته الشابة اليي وضعت على رأسها قبعة غربية وأنا كاتب الروايات المغمور ... قلت له "أيرد أن أهاجر بأي سبيل... أريد أن أغادر إلى الأبد" كان كل حمال في بغداد يريد أن يصبح السندباد في أسفاره، وكل تاجر في البصرة يريد أن يصبح ابن هبار أو سليمان التاجر في رحلات الحسن السيرافي... بل حتى العرجان يريدون الهجرة إلى أوربا .... حتى الخرسان... حتى العميان.... قلت له حتى لو بقفة قار كما كان يفعل السومريون.... أو لوحة خشية صغيرة على الماء، كما كان يفعل جدي وجدك السندباد**"(٥٢)، فعبارة (لو بقفة قار.....أو لوحة خشبية صغيرة) تكشف مدى الوضع المنهك الذي يعتاشه هؤلاء والرغبة الشديدة بالسفر، فدلالة ذلك عدم شعورهم بالإنتماء في بلدهم الأم.

ويمكننا القول بأن السياسات القمعية من قبل السلطة المركزية المستبدة وسياسة تهميش الآخر، والحروب التي خاضها المجتمع العراقي، والاحتلال الأمريكي للعراق، أحدث فجوة وشرخ

كبير في الهوية عند الفرد العراقي ورغبته بالسفر والبحث هوية جدية، وفي نهاية الأمر بات سفرهم أوهاماً.

وتطرح (رواية مصابيح أورشليم) الهوية اللا منتمية متمثلةُ بشخصية علاء خليل رافضه للواقع السياسي ودخوله الحرب الثماني سنوات، لأنه لا يشعر بالانتماء إلى وطنه، لذا يتمنى مكان صديقه ايمن مقدسي لأنه منفي ومن دون وطن، فنجده كارهاً لوطنه يود الانسلاخ منه فيقول السارد "**في الواقع كنت تعرفت على ايمن مقدسي للمرة الأولى في بغداد، في الثمانينيات، أيام كنت جندياً، في جبهة الحرب مع إيران، وقد عرفني عليه صديقي علاء خليل، والذي كان جنديا معي وفي وحدتي العسكرية، ..... كان ايمن مقدسي لاجئاً فلسطينياً في العراق، وهذا موقع حسد بالنسبة إلى علاء خليل الذي يعد نفسه متورطاً بوطن، كان يقول له أفضل ما فيك أنك بلا وطن، إنك منفي، لا تشعر بأي عاطفة إزاء وطن تعاني منه وتحقد عليه، أن تحلم بوطن خير من أن يكون لك وطن تكرهه وتبغضه وتريد أن تتحرر منه....**"([٥٣])، يبدو عدم الانتماء واضحاً وراسخاً في شخصية علاء خليل من خلال حسده للآخر.

وفي رواية (أساتذة الوهم) تظهر الشخصية الغير منتمية متمثلةً بـ(عيسى) هوية رافضة للإنتماء ذاهبة باتجاه الآخر مقلداً إياه من خلال ارتدائه للملابس الغربية، والتعالي وترك كل محلي محاولاً الإنفصال عن واقعه فيقول السارد "**قال لنا إننا سجنا أنفسنا إلى الأبد بكل شيء وطني ومحلي وعربي، أما هو فلا، فقد أنفلت كلياً من هذا المحلي إلى العالمي، وانفلت من المحدد إلى اللا محدد...كان عيسى يعتقد أن هذه الأشياء المحلية، والأسماء العربية هي غير شعرية بالمرة**"([٥٤])، ويستمر رفضه فيقول السارد "**نهض عيسى متثاقلاً، تحسس بيده لحيته التي لم يحلقها منذ يومين.. كان يحاول أن يصم سمعه عن الحوش الذي يتقلب في ضجيجه وروائحه... حمل المنشفة ومعجون الأسنان(عنبر)، (معجون صنع محلي لم يكن يحبه، ولكنه الوحيد القادر على شرائه...لقد ارتدى قبعته المبعجة، لقد ارتدى ملابسه كاملة: المعطف والبنطلون والحذاء، وضع الكتاب تحت إبطه**"([٥٥])، ويمكننا القول إن رفض عيسى لهويته وشعوره بالمنفى وتقليد الآخر نابع من فقره وشعوره بالتهميش والإقصاء من قبل الهوية المركزية المتسلطة، لذلك خلق له حاجزا نفسياً مع ذاته والآخرين، فيقول السارد "**فيما أن يتوقف عيسى لينظر إلى واجهات المحلات الزجاجية حتى تنعكس صورته عليها، حينئذٍ يرى وجهه الحقيقي، يرى وجهه على حقيقته وواقعيته، يفاجأ عيسى بأنفه الكبير، بفمه، بعينيه الطامستين تحت النظارة السميكة، يتملى طويلاً به، وهو يرتجف كأنه يراه للمرة الأولى**"([٥٦]).

وفي نص آخر من الرواية ذاتها يتكرر مشهد الرفض، من خلال الحوار بينه وبين الرسام فيقول السارد "**عيسى جالس ثابت في جلسته ينظر باستقامة إلى الرسام الذي ينحني أمامه وهو يخط على الورقة المحببة بفلم الفحم خطوط صورته، ينتظر عيسى أكثر من ساعة أمام الرسام... ما أن يعطيه البورتيت أخيراً... يفن عيسى على الورقة مفزوعاً... يرميها على الرسام وهو يبرطم شفتيه....**

ما تشبهني...

ــ عيسى شلون ما تشبهك...

ــ والله ما تشبهني... ما تعرف ترسم روح شوفلك غير شغلة أحسن ألك"([٥٧])، ويتضح فيما سبق بأن عيسى كان يشعر بالنفور من شكله ومن كل شيء محلي، لذا نراه غير متصالح مع شكله ومع ذاته تقريبا، "أما إذا كتنت الذات مضطربة ومتشظية فسيكون المرء عاجزاً عن تحديد ما هيته وعلاقته مع الآخر، وربما سيكون في واقع الأمر يعاني من انفصام الشخصية"([٥٨]).

المبحث الثالث

إشكاليات الهُوية وتحولاتها الثقافية:

أولاً: الهُوية الصاعدة والهوية القاعية: شهد العراق على مر العصور أنظمة سياسية مستبدة، مارست الهيمنة وكبت الحريات ولا سيما بحق الأقليات وتعرضها للإلغاء، لذا فأن الدولة "ولدت وهي لصيقة بعمليات الإقصاء والعزل الرؤية الواحدة، جراء إسنادها لطابع فئوي وسلطوي يرغب في إقصاء الآخر، بدوافع تحقيق الهيمنة التامة ومن أجل فرض وإعلاء ثقافتها الخاصة، بوصفها ثقافة المجتمع ككل"([٥٩])، ومن الهويات الصاعدة في المتن الروائي هوية منيب أفندي في رواية الوليمة العارية إذ أصبح مترجماً للمحتل الإنكليزي وهو يسير خلف هوكر القائد العسكري على بغداد، بعد سقوط الدولة العثمانية وتقهقرها، ومجيء هوية أخرى محلها، وهبوط هوية محمود بك الضابط العثماني، فيقول الراوي "**سار هوكر بخوذته الكاكية وقد وضع المونوكول على عينه اليسرى، سار بهدوء بقمصلته الكاكية... وقد سار خلفه منيب أفندي ترجمانه الجديد، وجنديان مسلحان من الهنود، سار هوكر أمام الجواد الذي يمتطيه محمود بهدوء بك، وقد منحه نظرة لا مبالية أول الأمر، نظرة إنكليزي منتصر ومتعجرف... وقد سار منيب أفندي وارءه، قال كلاماً للترجمان وأشار على محمود بك، فنظرة منيب أفندي إلى محمود بك بابتسامة مبتهجة وقال: قرر المستر أن يعطيك أن تختار شيء واحد قبل إعدامك**"([٦٠]).

وفي رواية (صخب ونساء كاتب مغمور) تتمثل الهوية الصاعدة بـــ(سعاد التركمانية) الراقصة بملهى الطاحونة الحمراء، بعدما كانت مهمشة في زمن النظام الملكي وراقصة في فنادق الدرجة

العاشرة تضاجع الزبالين، حتى أصبحت عشيقة لأحد الضباط المقربين من عبدالكريم قاسم، فارتفعت مكانتها الاجتماعية، وينقل لنا علي بدر عبر نصه "**وقد تعرفت سعاد خلال تلك السنوات على حياة جديدة مختلفة كلياً عما عاشته في حياتها السابقة، لا أقصد الفقر والمرض في الأوتيلات الرخيصة، إنما في كل حياتها، لقد سافرت وللمرة الأولى مع عشيقها الجديد إلى لبنان، والمغرب، ومصر.... صارت تتكلم بالتلفون مع صديقاتها... ثم تنادي السائق عبود ليأخذها للتنزه على شاطئ أبي نؤاس.... أو يخذها للحفلة الخاصة التي يقيمها أحد التجار في نادي العلوية أو في نادي الصيد... سعاد هناك تنظر بشكل عادي تماماً لمجتمع جديد، وتتعامل كسيدة مع وجود عدد ضخم من البوابين والسفرجية والخدم... وتعلمت انتقاء فساتين السهرة الباذخة ولم يعد يعجبها سوى عالم كريستيان ديور، وعالم كارفن**"([٦١]).

وبعد مقتل عشيقها محمود لتسقط هذه الهوية، وتتزوج العريف سائق زوجها فيقول السارد "**انتقل عبود من منزله في الثورة الذي يضم زوجته الريفية وأولاده الصغار إلى منزل زوجته الحضرية في الكرادة ونام معها تحت سقف منزل المقدم القديم، وإن كان سائقاً فيما مضى يقف ذليلاً أمام هذا المنزل أصبح اليوم هو صاحب المنزل، وهو الراكب الجديد لا لسيارة المقدم كما كان إنما لامرأة المقدم بطبيعة الأمر، لقد كان عبود يحترمها بل كان يقدسها لأنها الخاتون، السيدة عشيقة المقدم، أمر في غاية الأهمية، بل هو أمر لك يكن يحلم به، طوال حياته مطلقاً، لقد كانت هي التعويض الحقيقي عن شعوره، بالوضاعة والخط والإهانة والانتقاص، وقد أخذ الجيران يسمونه السيد المقدم، وهي تشعر بأنها هبطت... وهو يشعر بأنه صعد، وهي تشعر بأن حياتها أصبحت تعيسة ومهدمة بسبب حظها البائس، والنكد الذي لم يفارقها وهو يشعر بأن الله كرمه وتزوج أمرأة مقدم، فأن لم يضبح في حياته مقدماً على الأقل عاش عيشة مقدم، منزل المقدم وزوجة المقدم... وسرير المقدم لا بل وملابس المقدم**"([٦٢]).

وفي رواية الطريق إلى تل المطران تصعد هوية الأقليات المهمشة المحجوبة، يقابلها هبوط هوية القاشا المخادعة، مستخدماً لغة العنف والقوة تجاه الناس البسطاء، فيقول السارد من خلال الحوار مع القاشا :

"**قاشا متى تعلن الظهور عن النبي؟**

"**اليوم سأعلنه ولكن أتقسمون على طاعتي؟**

"**نعم نعم قلنا له ثم تقدمت شميران منه، وقالت: قاشا أعلن أنت ظهور النبي ثم للناس بأني سأتكلم بعدك، وأنا أقسم أني من اتباعك هل هذا كافٍ؟**

خرج القاشا للناس وبعد دقائق صمتت الحشود المتجمعة أم البيعة تماما...كان صوت القاشا يأتينا حاداً عذباً مرتجفاً ومتموجاً، ثم أخذ يتصاعد حتى غطى كل شيء في الكون، لا أقول سحر الناس، إنما أرجفهم وجعلهم يرتعشون... التفتت شميران نحوي قالت: تهيأ فحسست السكين في جيب معطفي حادة باردة... وما أن شهرت السكين، دفعته شميران من اكتافه بقوة فدخلت السكين في بطنه"(٦٣).

وتطرح رواية (حارس التبغ) صعود مجموعة من العائلات العراقية المنفية في زمن النظام السابق، وتحولها من هويات هابطة مهمشة، إلى هويات صاعدة في تشكيل الحكومة العراقية الجديدة بعد عام٢٠٠٣، متمثلةً برجال الدين الشيعة الطبقة المهمشة وأخذهم الأدوار السياسية فيقول **السارد** "**لقد زاد عدد المسافرين، فأنظم لهم عدد من رجال الدين باللحى والعمائم السود وهم يمسكون مسابح طويله بأيديهم ويكرون بها، ووقفت على مقربة منهم نساؤهم المحجبات، أما من يجلس على المصطبات فقد كانت عائلات تتهيأ للسفر إلى بغداد أيضا، يتكلمون اللغة الإنكليزية بطلاقة وبلا لكنة، ومن الواضح أنهم من العائلات العراقية التي كانت تعيش في أوربا وأمريكا في الفترات السابقة، وهم يعودون إلى بغداد، بعد أن عاد بعضهم وأخذ يعمل في الحكومة الجديدة**"(٦٤).

وفي رواية (ملوك الرمال) التي تجسد أحداث ١٩٩١، وصعود الهوية البدوية المهمشة وانتصارها الهوية المركزية، وتتمثل الهوية الصاعدة بشخصية جساس البدوي وقضاءه على فصيل الصحراء فيقول السارد "**أعود إلى حياتي الدامية والباطلة كجندي خاسر للحروب ومهزوم، الجيش انكسر، والعقل المديني، الذي علمنا الوقوف على أرضٍ والدفاع عنها انهزم وهو كذلك الحلفاء، انتصروا على الجميع ما خلا البدو، وانهزمنا نحن فصيل غارة الصحراء، أمام البدو فبماذا تجيب حياتي أمام هذه الحضارة التي تغرب، وهذه الصحراء التي تنهض؟ ومن ضجيج الحرب، كنت أدع نفسي للاستسلام أمام استنارة الصحراء، إننا انهزمنا وبقينا في عارنا المتكبر المثير للرثاء**"(٦٥).

ثانياً: الهوية والعنف: لغة لعنف ليست وليدة اللحظة "بل له تاريخ طويل وموشح بالقتل والدماء، بوصفه داءً اجتماعياً راسخاً ومتأصلاً في الطبيعة البشرية فلا أحداً يجهل حادثة نبينا آدم عليه السلام، ولجوء قابيل للعنف تعبيراً عن غضبه وحقده على أقرب الناس إليه، وهو أخوه هابيل، تاركاً أسلوب الحوار والتفاهم الذي يمكننا التعبير به عن مشاعرنا المتأزمة وشعوره بالغبن والإحباط لعدم قبول عمله وقربانه،(٦٦).

ويعد العنف آفة تفتك بالمجتمعات، وبات "الداء الأعظم الذي عزت عنه البشرية عن معالجته بالرغم من خطابات التسامح"([٦٧])، وأصبح سلوكاً وثقافةً "ومكوناً داخلياً لا ينكر حضوره"([٦٨])، وجاء العنف لغةً في لسان العرب "الخرق بالأمر وقلة الرفق به، وهو ضد الرفق"([٦٩]).

أما العنف اصطلاحاً هو " السلوك الذي يتسم بالقوة والشدة والإكراه، إذ استثمر منه الدوافع العدائية إستثماراً صريحاً كالضرب والتقتيل للأفراد والتحطيم للممتلكات"([٧٠])، هذا يعني أن للعنف أشكالاً متعدد فهو ما بين جسدي، ومادي، ونفسي، وفكري.

وإن القارئ للنظام العراق السياسي، يجده نظام تسوده ثقافة القتل والدم وإقصاء الآخر، وفي حال شعور الفرد بعمليات التهميش والإقصاء والاستبعاد ضده سخر جميع دوافعه المكبوتة تجاه الآخر، وهذا ما نجده في شخصيات علي بدر التي نراها ترفض ما يقع عليها من ظلم و إقصاء وتهميش واستعباد لها لذلك تحاول مواجهة هذا التهميش وتحصين ذاتها بوضعها خطوط دفاعية تجاه ما يحصل لها لتحافظ على أنويتها، وأن ممارسة العنف ما هي إلا طاقة "**غامضة في مجتمعاتنا وهو قابع في كل مكان وينتظر إن يتفجر لأي سبب، فلا رادع مدني يحول دون انفجاره**"([٧١]).

وتطرح رواية(الوليمة العارية) العنف الجماهيري، الذي أخذ بالسلب والنهب أمام سقوط الدولة العثمانية أمام الإنكليز، حيث أخذت الجماهير المتمثلة بالعشائر بسلب ونهب الجيش العثماني، وسرقة المنازل والمحلات أيضا من قبل العصابات، واغتصاب النساء، كرد اعتبار على السياسة العثمانية الظالمة تجاه المجتمع فيقول السارد "**هرب الجندرمة في السميلات أمام النفر الفار، والعشائر التي أخذت تنهب الجيش العثماني المتقهقر في كل مكان، وهرب المسفرين بالقرعة وتحولهم إلى عصابات تهاجم القوافل وتفرض الاتاوات على الأهالي ودعاء العامة في الليل والنهار للخلاص من الجندرمة وموظفي الضرائب والعقوبات البشعة والرشاوي والاستهتار الحكومي ومصادرة الميري، وظلم السفربلك**"([٧٢])، ونلاحظ بأن مشهد التمرد والعنف ليس وليد الساعة إنما جاء نتيجة تراكمات، ونتيجة ما فعله الآخر من ظلم واستعباد لهم، وعليه فإن "تمرد الجماهير يمكن أن يكون في الواقع عبوراً إلى تنظيم بشري جديد لا نظير له لكنه يمكن أن يكون أيضا كارثة على المصير البشري"([٧٣])، وفي الرواية ذاتها نجد نوع آخر من العنف وذلك من خلال التغوط في الشوارع، رغم أنوف الجيش البريطاني فيقول السارد"**عند مفازة من الأزهار وقف رجل يرتدي دشداشة بيضاء وعرقجيناً جعلها مائلة على رأسه وقد لف الغطرة المخططة ووضعها على كتفه، مسح شاربه الكث، بيده، تلفت يميناً وشمالاً، رفع دشداشته إلى خصره، خلع سرواله وجلس يتغوط قرب زهرة الجوري، كان الهواء عذباً يأتيه من جهة النهر....**

وصل موكب الحاكم العسكري وقد ارتفع الغبار خلف جيادهم، كانت أصوات الحدوات منتظمة على الطريق الترابي الذي يحاذي النهر، وقد تقدمهم هوكر بقيافته الكاكية وخوذته ورتبته الموضوعة على الأكتاف حين رأى البغدادي جالساً على قارعة الطريق، ومستسلماً بالكلية لتغوطه... ولم ينهض بعد وصول موكبه.. لم يرد على نفسه دشداشته كان ببساطة غير مكترث لا للجنرال ولا للخيول، ولا للضباط، ولا للترجمان... كان مستسلماً لتغوطه رفع هوكر يده أوقف موكبه.... نظر بحقد للجالس تحت الأزهار وصرخ به بعنجهيته الإنكليزية...دون أن ينهض البغدادي من مكانه

وقال: لمنيب الترجمان بهدوء..

أخلص واجيه..

..وأخذ يصرخ متعجباً من هذا الاهتمام المبالغ به

"**مستر.. هي خرية أنت شبيك صاير عصبي**"(٧٤)، يرصد لنا علي بدر عبر نصه التحولات الأخلاقية ومظاهرها وما ينتج عنها من أنفلات لا أخلاقي وغياب السلوك والتمرد على العادات والتقاليد، وأيضا نراه موظفا التهكم والسخرية، ونقده للوضع الاجتماعي وغياب السلوك في ظل الاحتلالين العثماني والإنكليزي.

وتطرح رواية مصابيح أورشليم نموذجاً آخر للعنف الجماهيري، يهدد النظام الاجتماعي، فبعد احتلال العراق من قبل الأمريكان تواترت اعمال العنف وصاحبه انفلات أمني، نتج عنه ما يسمى بالفرهود فيقول السارد "**أيام الحرب كانت مروعة وقاسية جداً، والديمقراطية القادمة لم تكن دون ثمن باهض جداً.... القتلى يملؤون الشوارع، المجاعة على الأبواب، البنايات تتهاوى على رؤوس ساكنيها، الجيش مهزوم سابح في دمه، والدولة انهارت، والنهب طال كل شيء في الحياة**"(٧٥)، فأصبح العنف ملجأ يتم من خلاله النهب والسطو، واخذ الثأر.

أما في رواية (الركض وراء الذئاب) فالعنف يأخذ صوراً مغايرة تمثل في انتفاضة مجموعة من الثوار العراقيين في الأهوار، فأحدثوا ثورات هدفه إسقاط النظام فيقول السارد "**وكنت اتساءل على الدوام كيف قادوا تلك الأيام حرب عصابات ضد الحكومة في الأهوار؟ عمل عظيم ذلك الذي قادهم إلى فكرة الثورة... هذا الرباط المقدس الذي جعلهم ينتصرون على القوات الحكومية في الأيام الألى على الأقل أدهشتني هذه المعلومة:**

لقد أسقطوا طائرة هليكوبتر حكومية بأسلحة بدائية وربما ببندقية بسيطة، وكانوا قد أسروا الكثير من الضباط والجنود وعاملوهم معاملة الأسرى، بل هنالك العديد من الأساطير حول

بطولاتهم وحياتهم"([٧٦])، ينقل لنا علي بدر رفضهم للهيمنة والعنف والتسلط من قبل السلطة المركزية تجاههم ومجتمعهم.

وتطرح رواية (حارس التبغ) العنف ومرحلة الإعدام الجماعي للجنود الهاربين، أمام الجماهير، فشهد ذلك إحتجاجات عارمة على إعدامهم فبقول السارد "**أما مشهد إعدام الجنود الهاربين من الجبهة فقد أصبح مألوفاً جنود بسطاء أغلبهم من الريف وأعمارهم لا تتجاوز العشرين يقودونهم بعنف أمام الجماهير المتجمعة، ويضعونهم على أعمدة بيضاء طويلة في الساحات العامة، حيث يأتي بعد فترة جنود آخرون يرتدون أقنة سوداء. يصوبون عليهم البنادق، ويطلقون النار على رؤوسهم وعلى صدورهم بانتظام.. حفلة من حفلات الذبح المقدس وكل هذا المظاهر تخفي غضباً عارماً في كل مكان، وقسوة مخبوءة تظهر من وقت إلى وقت.. لقد شعر أنه يعيش بين أمة متمردة، منطوية على نفسها، شديدة التعصب إلى جانب صفات أخرى سيئة اكتبوها من الظروف الشاذة التي عاشوها**"([٧٧]).

وفي الرواية ذاتها يظهر العنف بعد سقوط العراق عام ٢٠٠٣، ودخول الأمريكان العراق، وظهور المليشيات، وانتشار الخطف، إلى جانب اعمال السلب والنهب، وظهور عصابات وعمليات القتل على الهوية، فيقول السارد "**كنا نسير متخفين في الظلام العصابات المسلحة في كل مكان، وعلى ركبنا تغفو خريطة المدينة التي رسمناها مثل مربعات الشطرنج المربعات السود للشيعة والمربعات الصفر للسنة ارتكاب خطأ واحد يعني موت الملك لا محالة.... كان الناس يغلقون على نفسهم الأبواب والشبابيك، محتمين بالسقوف والجدران، إنهم ينتظرون الموت في أي لحظة، يجلسون يقظين.. مصغين إلى همهمات القتلى والمخطوفين التي تحجملها الرياح من بعيد**"([٧٨])، ونرى علي بدر مستهدفاً الجماهير الثائرة فيقول "التغيير لا يمكن أن تصنه الجماهير.. الجماهير خطر... إنها رعب حقيقي لأنها تمثل انفلات السلوك العقلاني... هذه الجماهير ضد النقد، فكرها غير مفهوم بالمرة.. تفكيرها وحركاتها تشتغل بواسطة المصادفة والتحول.. إنها لا تفكر... إنها تهتاج وتتحسس.. صالح يصرخ لا هذه الجماهير تريد أن تهدم طغيان الفرد وتؤسس مجتمع الجماعة... هذه الجماهير تريد أن تؤسس خلافة الأمة وشهادة الأنبياء"([٧٩])، فعلي بدر ينتقد الحكومة والشعب عبر نصه فكلاهما يسلك طريق القتل والدم، وكلاهما يستعمل العنف لفك الخلافات.

الخاتمة:

١. عانت الهويات في روايات علي بدر من الإقصاء والاستبعاد والتهميش ولا سيما بعد احتلال العراق من قبل الأمريكان بعد ٢٠٠٣ وما تبعه من نزاعات طائفية وعرقية أدت إلى تمزيق وحدة الصف العراقي.

٢ـ تسلط الهوية المركزية التابعة للسلطة الحاكمة، وهيمنتها على الهويات الأخرى الهامشية والمزدوجة، والمتحولة، والمغيبة، ومرورها بأحداث مكانها من تفعيل دورها وإقصاءها للآخر.

٣. إنَّ تنوع الهويات، وتعدد الانتماءات والصراعات الطائفية والسياسية ومرحلة التقاتل على الهوية من السمات البارزة في روايات علي بدر.

الهوامش

[١] المطابقة والاختلاف، د عبدالله إبراهيم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، ط١، ٢٠٠٤، ص٢٢.
[٢] موسيقى الحوت الأزرق، أدونيس، دار الآداب، بيروت، ط١، ٢٠٠٢، ص٢٠٢.
[٣] إشكالية السلطة في تأملات العقل الشرقي القديم والإسلامي الوسيط، د عامر حسن فياض و د علي عباس مراد، دار الشؤون الثقافية بغداد، ط١، ٢٠٠٥،
[٤] الوليمة العارية، ص٨٩-٩٠-٩١.
[٥] الوليمة العارية،ص١٦٦-١٦٧٠-١٦٩.
[٦] م،ن، ص٥٣-٥٤.
[٧] الطريق إلى تل المطران، ص٩٨.
[٨] م،ن، ص٩٠.
[٩] ينظر : صورة المثقف في التراث العربي، د رسول محمد رسول، سلسة دراسات، بغداد، ط١، ٢٠٠١، ص٩٣.
[١٠] رواية الجريمة، الفن، وقاموس بغداد، ص٣٥٠-٢٥١.
[١١] أساتذة الوهم، ص٥٧.
[١٢] م،ن، ص٩١-٩٢.
[١٣] الذات الجارحة، إشكالات الهوية في العراق والعالم العربي، سليم مطر، مركز دراسات الأمة العراقية، جنيف، بغداد، دار الكلمة الحرة، بيروت، ط٤، ٢٠٠٨، ص١٣٢.
[١٤] أساتذة الوهم، ١٧٧- ١٨٠.
[١٥] م،ن، ص١٨٧.
[١٦] النظام الأبوي في المجتمع العربي، هشام شرابي، ترجمة: محمود الشريح، الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، ط٤، ٢٠٠٢، ص٥٤.
[١٧] الكلمات والأشياء، ميشيل فوكو، مطاع صفدي وآخرون، مركز الإنماء القومي، لبنان، ط١، ١٩٩٠، ص٧.
[١٨] الوليمة العارية، ص٥٦-٥٧.
[١٩] م،ن، ٩٠.
[٢٠] الوليمة العارية، ص ٥٦، ٨٨.
[٢١] م،ن، ص٦٩-٧٠.
[٢٢] الركض وراء الذئاب، ص٥٩-٦٠.
[٢٣] م،ن، ص١٠٠.
[٢٤] الرواية العراقية من ٢٠٠٧وحتى ٢٠١٠، دراسة في تحولات الأنساق الثقافية، صدام حسين رشيد، ، رسالة ماجستير، كلية التربية الأساسية، جامعة المستنصرية، ، بغداد، ص٣٤.
[٢٥] الركض وراء الذئاب، ص١٣٧-١٤٨-١٣٩.
[٢٦] حارس التبغ، ص١٠-١١-١٣.

[٢٧] م،ن، ص٥٥-٥٦.
[٢٨] ملوك الرمال، ص٥٥.
[٢٩] أساتذة الوهم ص٢٧١-٢٧٣.
[٣٠] دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، د علي الوردي، دار مكتبة دجلة والفرات، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠١٠، ص٣١٥.
[٣١] المصدر السابق، ص٣١١.
[٣٢] إشكالية الهوية والانتماء، علي حمدان، المركز الاسترالي العربي للدراسات السياسية، سيدني، ط١، ٢٠٠٥، ص٣٥.
[٣٣] الوليمة العارية، ص١٠.
[٣٤] م،ن، ١٣.
[٣٥] م،ذ ص٢١٣.
[٣٦] الوليمة العارية، ص١٥-١٦-١٧.
[٣٧] صخب ونساء كاتب مغمور، ص٨٧-٨٨.
[٣٨] مصابيح أورشليم، ص٣٠.
[٣٩] أساتذة الوهم، ص٧٢.
[٤٠] مدارات المنفتح والمنغلق في التشكيلات الدلالية والتأريخية لمفهوم الهوية، أريق سعيد، مجلة عالم الفكر، عدد٤، إبريل يونيو، ٢٠٠٨، ص٢١٩.
[٤١] صخب ونساء كاتب مغمور، ص٤٠-٤١.
[٤٢] الركض وراء الذئاب، ص٦٠-٦١.
[٤٣] الركض وراء الذئاب، ص٩٩-١٠٠-١٠١-١٠٢-١٠٤.
[٤٤] م،ن، ص١١٩-١٢٠-١٢٢.
[٤٥] حارس التبغ، ص١٦٦-٢٦٧.
[٤٦] أساتذة الوهم، ص٢٢٢-٢٢١.
[٤٧] حصاد العاصفة، ثقافة التضاد العراقي بين زمنين، ج١، د سعد العبيدي، سلسلة دراسات، العراق، بغداد، ط١، ص١٠٦.
[٤٨] سمات الشخصية وعلاقتها بأساليب مواجهة أزمة الهوية لدى الطلاب، محمد السيد عبد الرحمن، ج٢، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ص٣٨٩.
[٤٩] أزمة الهوية والاكتئاب النفسي لدى الشباب الجامعي، أبو بكر مرسي محمد مرسي، مجلة دراسات نفسية، ع٣، المجلد٧، ١٩٩٧، ص٣٢٣.
[٥٠] القبيلة أو القبائلية أو هويات ما بعد الحداثة، د عبدالله الغذامي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، طن٢، ٢٠٠٩، ص٤٦.
[٥١] صخب ونساء كاتب مغمور،ص٢٣٤-١٣٥.
[٥٢] صخب ونساء كتب مغمور، ص١١١-١١٢-١١٣.
[٥٣] مصابيح أورشليم، ص٢١-٢٢-٢٣-٢٤.
[٥٤] أساتذة الوهم، ص١٦٠-١٦١.
[٥٥] م،ن، ص١٧٠.
[٥٦] أساتذة الوهم، ص١٨٠.
[٥٧] م،ن، ص ١٩٠-١٩١.
[٥٨] ينظر: اللغة والهوية (قومية – أثنية – دينية) ، جون جوزيف، ترجمة، عبدالنور خراقي، سلسلة عالم المعرفة ٢٤٢، اغسطس، الكويت، ٢٠٠٧، ص١٠.
[٥٩] مفاهيم عالمية، الهوية من أجل حوار بين الثقافات، عزيز العظمة وآخرون، ترجمة: عبد القادر قنيني، المركز الثقافي العربي، بيروت– لبنان،ط١، ٢٠٠٥، ص١٢٢-١٢٣.
[٦٠] الوليمة العارية، ص٢٥٠-٢٥٥.

[٦١] صخب ونساء كاتب مغمور، ص ٥٠-٥١-٥٢.
[٦٢] صخب ونساء كاتب مغمور، ص٣٠-٣٢٠٣٤.
[٦٣] الطريق إلى تل المطران، ١١١-٢٢١-٢٢٢.
[٦٤] حارس التبغ، ص٧٣.
[٦٥] ملوك الرمال، ص٢٢٣-٢٣٤.
[٦٦] تحديات العنف، ماجد الغرباوي، معهد الأبحاث والتنمية الحضارية، المعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، ٢٠٠٩، ص٣٢.
[٦٧] من أجل أخلاقيات التسامح في ظل ثقافة اللا عنف، د عامر عبد زيد، بيت الحكمة، ع٢٢، بغداد، ٢٠١٠، ص١٠٦.
[٦٨] عنف العالم، جون بودر يارد وأدغار موران، ترجمة: عزيز توما، نقديم: إبراهيم محمود، دار الحوار، سوريا،ط١، ٢٠٠٥، ص٤١.
[٦٩] لسان العرب، ابن منظور، ج ج٤، دار المعارف، القاهرة، د.ت، مادة عنف ص٣١٣٣.
[٧٠] موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، فرح عبد القادر، دار سعاد الصباح، الكويت، د.ط. ١٩٩٥، ص٥٥.
[٧١] المحاورات السردية، د عبدالله إبراهيم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت-لبنان، ط١، ٢٠١٢، ص ١٦٢.
[٧٢] الوليمة العارية، ٢٠٠.
[٧٣] تمرد الجماهير، خوسيه أورتغا إي غاسيت، ترجمة: علي إبراهيم أشقر، دار التكوين، دمشق – سوريا، ط١، ٢٠١١، ص٩٤.
[٧٤] الوليمة العارية، ص٢١١.
[٧٥] مصابيح أورشليم،ص٦٩.
[٧٦] الركض وراء الذئاب، ص٥٥.
[٧٧] حارس التبغ، ٨٨-٨٩.
[٧٨] م.ن، ص١٠١.
[٧٩] م،ن، ص١١٤-١١٦.

المصادر:

١. الذات الجارحة، إشكالات الهوية في العراق والعالم العربي، سليم مطر، مركز دراسات الأمة العراقية، جنيف، بغداد، دار الكلمة الحرة، بيروت، ط٤، ٢٠٠٨.
٢. النظام الأبوي في المجتمع العربي، هشام شرابي، ترجمة: محمود الشريح، الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، ط٤، ٢٠٠٢.
٣. دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، د علي الوردي، دار مكتبة دجلة والفرات، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠١٠، ص٣١٥.
٤. إشكالية الهوية والانتماء، علي حمدان، المركز الاسترالي العربي للدراسات السياسية، سيدني، ط١، ٢٠٠٥، ص٣٥.
٥. أزمة الهوية والاكتئاب النفسي لدى الشباب الجامعي، أبو بكر مرسي محمد مرسي، مجلة دراسات نفسية، ع٣، المجلد٧، ١٩٩٧، ص٣٢٣.
٦. سمات الشخصية وعلاقتها بأساليب مواجهة أزمة الهوية لدى الطلاب، محمد السيد عبد الرحمن، ج٢، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ص٣٨٩.
٧. مفاهيم عالمية، الهوية من أجل حوار بين الثقافات، عزيز العظمة وآخرون، ترجمة: عبد القادر قنيني، المركز الثقافي العربي، بيروت- لبنان،ط١، ٢٠٠٥، ص١٢٢-١٢٣
٨. تمرد الجماهير، خوسيه أورتغا إي غاسيت، ترجمة: علي إبراهيم أشقر، دار التكوين، دمشق – سوريا، ط١،
٩. المحاورات السردية، د عبدالله إبراهيم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت-لبنان، ط١، ٢٠١٢.
١٠. تحديات العنف، ماجد الغرباوي، معهد الأبحاث والتنمية الحضارية، المعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، ٢٠٠٩.

١١ـ عنف العالم، جون بودر يارد وأدغار موران، ترجمة: عزيز توما، نقديم: إبراهيم محمود، دار الحوار، سوريا،ط١، ٢٠٠٥.
١٢. اللغة والهوية (قومية – أثنية – دينية) ، جون جوزيف، ترجمة، عبدالنور خراقي، سلسلة عالم المعرفة ٢٤٢، اغسطس، الكويت، ٢٠٠٧.
١٣. دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، د علي الوردي، دار مكتبة دجلة والفرات، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠١٠.
١٤ـ الذات الجارحة، إشكالات الهوية في العراق والعالم العربي، سليم مطر، مركز دراسات الأمة العراقية، جنيف، بغداد، دار الكلمة الحرة، بيروت، ط٤، ٢٠٠٨، ص١٣٢.
١٥. إشكالية السلطة في تأملات العقل الشرقي القديم والإسلامي الوسيط، د عامر حسن فياض و د علي عباس مراد، دار الشؤون الثقافية بغداد، ط١، ٢٠٠٥.

Sources:

1- The hurtful self, problems of identity in Iraq and the Arab world, Salim Matar, Center for Studies of the Iraqi Nation, Geneva, Baghdad, Dar Al-Kalima Al-Hurra, Beirut, 4th edition, 2008.
2- The Patriarchal System in Arab Society, Hisham Sharabi, translated by: Mahmoud Al-Sharih, Al-Gharb Publishing and Distribution, Algeria, 4th edition, 2002.
3- A Study in the Nature of Iraqi Society, Dr. Ali Al-Wardi, Tigris and Euphrates Library House, Beirut, Lebanon, 2nd edition, 2010, p. 315.
4- The Problem of Identity and Belonging, Ali Hamdan, Australian-Arab Center for Political Studies, Sydney, 1st edition, 2005, p. 35.
5- Identity crisis and psychological depression among university youth, Abu Bakr Morsi Muhammad Morsi, Journal of Psychological Studies, No. 3, Volume 7, 1997, p. 323.
6- Personality traits and their relationship to methods of confronting the identity crisis among students, Muhammad Al-Sayyid Abdel Rahman, Part 2, Qubaa Printing and Publishing House, Cairo, 1st edition, p. 389.
7- Universal Concepts, Identity for Intercultural Dialogue, Aziz Al-Azmeh and others, translated by: Abdel Qader Qanini, Arab Cultural Center, Beirut - Lebanon, 1st edition, 2005, pp. 122-123
8- The Rebellion of the Masses, José Ortega y Gasset, translated by: Ali Ibrahim Ashkar, Dar Al-Takween, Damascus - Syria, 1st edition،
9- Narrative Dialogues, Dr. Abdullah Ibrahim, Arab Foundation for Studies and Publishing, Beirut-Lebanon, 1st edition, 2012.
10- Challenges of Violence, Majid Al-Gharbawi, Institute for Cultural Research and Development, Al-Maaref Publications, Beirut, Lebanon, 2009.
11- The Violence of the World, John Buder Yared and Edgar Moran, translated by: Aziz Touma, presented by: Ibrahim Mahmoud, Dar Al-Hiwar, Syria, 1st edition, 2005.
12- Language and Identity (National - Ethnic - Religious), John Joseph, translated by Abdel Nour Kharaqi, World of Knowledge Series 242, August, Kuwait, 2007.
13- A Study in the Nature of Iraqi Society, Dr. Ali Al-Wardi, Tigris and Euphrates Library House, Beirut, Lebanon, 2nd edition, 2010.
14- The hurtful self, problems of identity in Iraq and the Arab world, Salim Matar, Center for Studies of the Iraqi Nation, Geneva, Baghdad, Dar Al-Kalima Al-Hurra, Beirut, 4th edition, 2008, p. 132.
15- The Problem of Authority in the Reflections of the Ancient Eastern and Middle Islamic Mind, Dr. Amer Hassan Fayyad and Dr. Ali Abbas Murad, House of Cultural Affairs, Baghdad, 1st edition, 2005